عاش وحيداً بعد أن فقد السمع وأصيب بالإحباط والعزلة والانطوائية

زكي رستم.. أصاب والدته بالشلل وأرعب فاتن حمامة

زكي رستم من أشهر الفنانين الذين لم يتزوجوا في السينما المصرية

زكي رستم وفاتن حمامة

أحد أساطير التمثيل في السينما العربية والعالمية، والذي ترك بصمة لا يمحوها زمن، هو الفنان الراحل زكي رستم، الذي أطلق عليه لقب «الباشا»، ولم يكن هذا اللقب هو الوحيد الذ اشتهر به في مسيرته الفنية، بل منحه النقاد عدة ألقاب منها «رائد مدرسة الاندماج»، والذي أخاف فاتن حمامة التي حكت في احد اللقاءات أنها كانت تخاف من اندماجه قائلة: «بخاف منه لما يستولى عليه الاندماج لدرجة أنه لما يزقني كنت ألاقي نفسي طايرة في الهواء».

هو زكي محرم محمود رستم، المولود بحي الحلمية بالقاهرة لأسرة تركية يوم ٢٥ مارس عام 1903، ورغم ثراء أسرته الا أن موهبته المدفونة بداخلة بدأت تتحرك أمامه، فعشق التمثيل منذ الصغر، وكان يخرج مع مربيته لمشاهدة الموالد وعروض الأراجوز، إلى أن أخذته أسرته ليشاهدوا عرضا مسرحيا لفرقة جورج أبيض التي كان يؤدي فيها شخصية «أوديب ملكا»، ثم عاد رستم الى بيته وحاول أن يقلده في تمثيله وأدائه.

كان القصر الذي عاش فيه رستم كبيرا جدا على مساحة 5 أفدنة، ومقسم إلى 50 غرفة، وفي بدروم هذا القصر، أقام رستم خلسة أول مسرح في حياته، وانتهز فرصة سفر أبيه إلى المنصورة ليباشر أراضيه الزراعية ليقوم بجمع «الطرابيزات والستائر والمقارش»، ليصنع بها مسرحا صغيرا، وكان يقوم بجمع أشقاءه وعدد من الخدم لتجسيد باقي الشخصيات في عرضه المسرحي الصغير داخل القصر، ولا تعلم والدته ولا أبيه عن هذا الأمر شيئا، الا عندما أفشت المربية الخاصة به السر الي والدته التي صفعته بشدة وقامت بحجز جميع مستخدمات مسرحه الصغير، وسرعان ما علم والده أيضا بهذا السر فهدد بحبسه في العزبة حتى يستقيم.

وبعد وفاة والده محرم محمود باشا اضطرت الأسرة الي أن تبيع القصر وتسكن في منطقة الزمالك وفي هذه الفترة اضطر رستم لترك عشقه التمثيل، ويخرج طاقته في الرياضة، فكان أحد أبطال المصارعة ورفع الأثقال وحصل على المركز الثاني على مستوي مصر عام 1923، وحصل بعدها بعام 1924 على شهادة البكالوريا ورفض استكمال تعليمه الجامعي.

أثار رستم دهشة والدته أمينة هانم عبدالغفار، وأعلن رفضه دخول كلية الحقوق وأنه اختار فن التمثيل معلنا انضمامه الي فرقة «جورج أبيض»، فقالت وقتها والدته «إن من يعمل بالفن فهو أراجوز وأنا لا أسمح لـ«أراجوزات» دخول منزلي»، وقامت بطرده من قصر الزمالك، حتي لا يكون مثل سيئ لإخوته، ومنعته من الاتصال بإخوته خاصة أخيه الأصغر عبدالحميد، حتى لا يتأثر به وأرسلته إلى انجلترا ليكمل تعليمه، ويكون تحت رعاية أخيه الأكبر وجيه باشا رستم الذي كان يشغل في ذلك الوقت منصب سفير مصر بفرنسا، الي ان أصيبت والدته بعد ذلك بالشلل حتى وفاتها.

ويعد زكي من أشهر الفنانين الذين لم يتزوجوا في السينما المصرية وكان دائما يقول أن زواجه هو للفن فقط، وكانت حياته الطبيعية لا تقبل السهرات الليلية ولا الذهاب الي أماكن غير الاستوديوهات وأماكن التصوير والتسجيل، وكان له صديقين هم سليمان نجيب وعبدالوارث عسر، وعاش طوال حياته أعزب لا يفكر في الزواج ولا يشغله سوى الفن.

كبر زكي رستم في السن وقام كل من حوله بالضغط عليه حتي يتزوج امرأة في سنه الا انه رفض قائلا: «لا أنا مش هظلم حد معايا»، وعرف وقتها بالانطوائية والعزلة وكان يردد قائلا: «أنا لا أطاق وعارف إني صعب العشرة»، واتجهت طريقته في الحديث نحو العصبية ولا يريد أن يراه أحد ولا يقوم بزيارة أحد.

وعاش زكي وحيدا، بعد أن فقد السمع تدريجيا، مما أصابه بالاحباط والعزلة والانطوائية، فقد رحل زكي رستم في يوم الخامس عشر من شهر فبراير لعام 1972.

ويبدو أن قدر بعض النجوم الذين امتعونا طوال تاريخهم باعمال متميزة وخالدة في تاريخ الفن أن تكون حياتهم الخاصة مليئة بالمآسي والأحزان، ولعل من أكثر الفنانين الذين كانت حياتهم الخاصة عبارة عن فيلم تراجيدي طويل الفنان زكي رستم الذي يعد من أهم نجوم السينما المصرية على مدار تاريخها، ولم يكن هذا بشهادة النقاد والجمهور المصري فقط، إذ اعتبره العديد من النقاد العالميين أحد أكثر الفنانين موهبة على مستوى العالم، واختارته مجلة «باري مانش» الفرنسية كواحد من أفضل عشرة ممثلين في العالم، كما وصفته مجلة «لايف» الأمريكية بأنه من أعظم ممثلي الشرق، وأنه لا يختلف عن الممثل البريطاني الكبير تشارلز لوتون، ورغم ذلك كانت حياته الخاصة من أقسى ما يكون، فقد عاش طوال حياته وحيدا، لم يتزوج أو ينجب أبناء، ولم يكن له أية أصدقاء سواء من داخل الوسط الفني أو خارجه، وكانت علاقته بزملائه الفنانين تنتهي عند اللحظة التي يخرج فيها من الإستوديو، حتى الخروج والسهرات والحفلات لم تكن من الأشياء التي تستهويه، وفي سنواته الأخيرة أصيب بالصمم، فلم يكن يسمع على الإطلاق، فاضطر إلى الابتعاد عن الشيء الوحيد الذي أحبه في الحياة وهو التمثيل.

ابن الباشوات

ولد زكي رستم وفي فمه ملعقة من ذهب، حيث نشأ في قصر يمتلكه جده اللواء محمود باشا رستم في منطقة الحلمية، وكان جده من كبار ضباط الجيش، أما والده محمود بك رستم فكان من كبار ملاك الأراضي الزراعية، ولم يكن في أسرته من يحمل لقب الفني.

عشق زكي رستم التمثيل منذ الصغر، وكان يخرج مع مربيته لمشاهدة الموالد وعروض الأراجوز، وعندما كان طالبا في المرحلة الابتدائية كان يذهب مع أسرته لمشاهدة العروض المسرحية التي تقدمها فرقة جورج أبيض، وفي أحد المرات شاهد جورج أبيض وهو يؤدي شخصية أوديب في مسرحية أوديب ملكا، فعاد لمنزله وحاول استرجاع طريقة تمثيله، ولم يكتف بذلك فقط، إذ كان يجمع أصدقائه وأقاربه تمثيل الروايات معه في بدروم القصر، ولم يكن التمثيل هوايته الوحيدة، إذ كان بطلا رياضيا ايضا، وكان يهوى رفع الأثقال، وحصل على بطولة هذه اللعبة عام 1923، وفي العام التالي حصل على شهادة البكالوريا.

مرحلة التمرد

بعد حصوله على البكالوريا، كان من المفترض أن يستكمل دراسته لكلية الحقوق، طبقا للتقليد السائد في العائلات الارستقراطية الذي يلزم أبنائها باستكمال دراستهم الجامعية، ولكن المفاجأة أنه رفض دراسة الحقوق، وأخبر والدته برغبته في أن يكون ممثلا، هنا ثارت الأم بشدة، وخيرته بين الفن والعيش معها، فاختار الفن وترك المنزل، فاصيبت الأم بالشلل حزنا على عمل ابنها بالتمثيل.

جورج أبيض

كانت بداية زكي رستم في التمثيل من خلال سليمان نجيب، والذي كان والده صديقا لوالد زكي رستم، فقدمه لعبد الوارث عسر الذي نجح في ترتيب لقاء مع جورج أبيض، وعندما رآه طلب منه أداء مشهد تمثيلي، وبعد نجاحه في أداء هذا المشهد بتفوق واضح، وافق على انضمامه لفرقته، حيث ظل يعمل فيها لمدة ستة ونصف تعلم خلالها الاندماج الكامل في الشخصية وهو الأسلوب الذي اشتهر به جورج أبيض، وقد رفض زكي رستم خلال عمله مع جورج أبيض تقاضي اي أجر، فكان حبه للتمثيل يجعله سعيدا بممارسة هوايته دون مقابل، رغم أن الأجر المحدد له كان نحو 7 جنيهات، وهو ثروة بمقاييس هذا العصر، وقد ظل يعمل بدون أجر في فرقة رمسيس التي انتقل إليها بعد تركه فرقة جورج أبيض، إلا أن يوسف وهبي أقنعه بأهمية الاحتراف وتقاضي أجر، وبالفعل تقاضى أول أجر شهري في حياته 15 جنيها، وكان من الأجور المميزة داخل الفرقة، حيث كان البطل الأول يحصل على 25 جنيها، وبعد عامين من عمله بالفرقة التحق بفرقة فاطمة رشدي وعزيز عيد، وكانت محطته المسرحية الأخيرة في الفرقة القومية.

«شيلها أنت»

كان زكي رستم من الرعيل الأول الذي قامت صناعة السينما على أكتافهم، وقد بدأ مع السينما الصامتة، وظهر في فيلم زينب عام 1930، ومن المواقف الطريفة التي حدثت في تصوير الفيلم – وتدل على خفة دم زكي رستم عكس ما كان يشاع عنه أنه متجهم وحاد المزاج – أن المخرج محمد كريم طلب منه في أحد مشاهد الفيلم أن يحمل زوجته المريضة بالسل، والتي تجسد دورها الفنانة بهيجة حافظ، وبالفعل أدى المشهد، ولكن كريم لم يعجبه أداءه، وطلب منه إعادة المشهد ليكون أكثر رومانسية، فغضب رستم لأن بهيجة كانت ثقيلة الوزن، فألقاها من يده على الأرض، وصرخ في وجه كريم «اتفضل شيلها أنت».

وبعد نجاحه في فيلم زينب، قدم مجموعة من الأدوار الصغيرة في أفلام الضحايا، الوردة البيضاء، العزيمة وليلى بنت الصحراء.

الفنان ذو الألف وجه

برع زكي رستم في أدوار الشر، وساعدته ملامحه الحادة على إتقان هذه النوعية من الأدوار، وقد وصل درجة إتقانه أن الناس كانت تكرهه بالفعل، وتصوروا أنه فعلا شرير، كما تميز أيضا في أدوار الباشا الارستقراطي في العديد من الأفلام، منها صراع في الوادي مع عمر الشريف وفاتن حمامة اللذين قدم معهما دور الباشا في فيلم آخر هو نهر الحب، وقدمه أيضا في فيلم أين عمري مع الفنانة ماجدة، وفيلم أنا الماضي مع فاتن حمامة وعماد حمدي، ورغم تميزه في أداء دور الباشا الارستقراطي، إلا أنه جسد أيضا شخصية الموظف المطحون ببراعة ملحوظة لا تقل عن براعته في تقمص دور ابن البلد أو البلطجي أو تاجر المخدرات أو رجل القانون، ولهذا أطلق عليه النقاد لقب الفنان ذو الألف وجه.

رائد مدرسة الاندماج

كان أهم ما يميز زكي رستم قدرته العالية على تقمص أي شخصية يقدمها، وفي كثير من الأحيان عندما ينتهي من أداء مشهد معين تتصاعد موجة من التصفيق من جميع الحاضرين، بما فيهم من شاركوه أداء المشهد تعبيرا عن إعجابهم بقدرته العالية على الاندماج مع الدور، وقد صرحت فاتن حمامة في إحدى حواراتها أنها شعرت بالرعب عندما وقفت أمامه في فيلم نهر الحب من شدة اندماجه، وعبرت بقولها «رستم يندمج في الدور لدرجة أنه لما يزقني كنت بحس أني طايرة في الهواء»، ومن المواقف الشهيرة الأخرى التي تدل على أن زكي رستم يندمج في الشخصية التي يقدمها وينفعل بها ويتجاوب معها أنه أثناء تصوير فيلم الفتوة أصر على أن يدخل فريد شوقي ثلاجة الخضار التي حبسه فيها زكي رستم في أحداث الفيلم، وذلك لأن فريد خرج من مكانه في الثلاجة ليتابع الأداء البارع لزكي رستم، فلم يستطع زكي أن يواصل الأداء عندما لمح فريد خارج الثلاجة، وأصر على دخوله الثلاجة حتى يكتسب المشهد الصدق والفاعلية.

أشهر عازب

رغم أن زكي رستم شارك معظم نجوم السينما في أعمالهم، إلا أنه لم تكن له أي صداقات داخل الوسط الفني، وكانت علاقته بالممثل تنتهي عند خروجه من الإستوديو، فكان لا يزوره أحد ولا يدعو أحد لزيارته، كما عاش حياته عازفا عن الزواج، وكان لهذا أسبابا عدة، ففي البداية كانت تؤرقه عقدة والدته التي توفت بعد إصابتها بالشلل بسبب اتجاهه للفن، ومع ضغط أسرته عليه للزواج تقدم لفتاة من خارج الوسط الفني كانت أسرته قد أشادت بها، ولكن عريس آخر كان أسرع إليها منه، فلم يكرر التجربة ثانية، وعندما كبر نصحته شقيقاته بالزواج من امرأة في مثل سنه لترعاه، ولكنه رفض قائلا «لا أنا مش هظلم معايا بنات الناس».

إصابته بالصمم

عانى زكي رستم في أوائل الستينات من ضعف السمع، وقد أعتقد في البداية أنه مجرد عارض سيزول مع الأيام، وأنه بحفظه جيدا لدوره وقراءته لشفاه الممثلين أمامه قد يحل المشكلة، ولكن هذا لم يحدث، ففي آخر أفلامه إجازة صيف كان قد فقد حاسة السمع تماما، فكان ينسى جملاً في الحوار أو يرفع صوته بطريقة مسرحية، وعندما كان المخرج يوجهه أو يعطيه ملاحظاته لا يسمعها، مما أحزنه كثيرا، حتى أنه في أحد المرات بكى في الإستوديو من هذا الموقف.

الصديق الوفي

بعد انتهائه من تصوير الفيلم، هجر زكي رستم السينما والأضواء تماما، وكان صديقه الوحيد كلب وولف يملكه، فكان يصحبه عندما يغادر المنزل لتناول الطعام في أحد مطاعم وسط القاهرة، ثم يعود لعزلته داخل البيت، وقد أصيب في أواخر أيامه بأزمة قلبية دخل على إثرها المستشفى التي مكث فيها أياما عديدة حتى توفى يوم 15 فبراير عام 1972 عن عمر يناهز 69 عاما.

برع رستم في اداء كل الأدوار الارستقراطي والبلطجي وتاجر المخدرات

أجاد في أدوار الشر وساعدته ملامحه الحادة على اتقانها

قال عنه الفنان يوسف وهبي «تمنيت أن أعمل أجيرا عنده»

وصفه الفنان زكي طليمات بأنه الأستاذ الأول في المسرح العربي هو «أبو المسرح»